
مفهوم
الولاء والبراء
الشيخ الدكتور
عبد الرحمن بن معلا اللويحق
الولاء و البراء
الألوكة
www.alukah.net

مفهوم
الولاء والبراء

الشيخ الدكتور عبدالرحمن بن معلا اللويحق

مفهوم الولاء والبراء

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. أما بعد:

فإن التاريخ لم يشهد لأمة من الأمم أنها عنيت بالحقوق: حقوق الخالق، وحقوق الخلق كهذه الأمة إذ لا يزال المسلمون يتقربون إلى الله - عز وجل - بأداء الحقوق حتى لأعدائهم ﴿فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[سورة التوبة: آية 4]

كما لا يزالون يحاذرون مقابلة الخيانة بمثلها أو مقابلة إهدار الحق كما جاء في الحديث (أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك) ولكن مع ذلك كله لم تزل مفاهيم كثيرة في العلاقات بين الناس تتجاذب بين أطراف شتى فرأيت أن أسهم بكتابة هذه الورقات في بيان مفهوم الولاء والبراء إذ يعد اليوم من أكثر المفاهيم المتعلقة بالآخرين اضطراباً في الأذهان، وقد تعمدت ألاّ تكون اللغة لغة الأبحاث المنهجية المعمقة، بل جعلتها لغة وسيطة يفقهها المختص وغيره لأن الموضوع لم يعد حديث الخاصة، بل أضحى حديث العامة مسلمهم وكافرهم.

وإلى إذ اجتهدت في تجلية الأمر فإني مقرٌ أن هذا جهد المقل، الآمل من الله تعالى العفو، والراجي مغفرة الذنب .

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

وكتب

عبد الرحمن بن معلا اللويحق



المبحث الأول:
معنى الولاء والبراء

تشهد هذه الفترة التاريخية جدلاً واسعاً حول قضية **(الولاء والبراء)** في جملة أخرى من القضايا والمفاهيم مثل: الجهاد، والإصلاح، والغلو وأصبحت هذه القضايا أمام حالة جذب متبادلة بين تيارات متقابلة، حتى تجاوزت حدود الأمة لتكون جزءاً من حالة الصراع الفكري بين الأمم.

كما أصبحت محلاً لانحرافات متقابلة في الفهم والتعامل بسبب ما شهده العالم من أحداث، وتأثيرات مختلفة عبر وسائل الإعلام، وضغوط فكرية وعلمية وعملية بل وتجاذبات من أصناف المنحرفين الغلاة والجفاة.

إن أصل (الولاء والبراء) ليس رأيا جديداً؛ ولا فكراً خاصاً بتيار في الأمة، وإنما هو عقيدة جاءت النصوص ببيانها وتشكل من خلال تلك النصوص مفهوم (الولاء والبراء)

وهذا المفهوم كما هو الحال في غيره من المفاهيم تعرض لإشكاليات في الفهم فتوسع فيه أقوام فحملوا مفهوم (الولاء والبراء) ما لا يحتمل، وجعلوه معياراً على ما تشتهيه نفوسهم؛ فغلوا في مقدميهم ومعظميهم حتى جعلوهم محلاً للاقتداء المطلق، بل وأضفوا عليهم أوصاف العصمة، وجعلوا هؤلاء المقدمين معياراً للحق، فغلوا في موالاتهم لمقدميهم ثم ألزموا الخلق بهذه الموالاة، وما من غلو في الولاء إلا ويصحبه غلو في البراء فمن والى معظماً في الدين موالاة مطلقة تبرأ من مقابليه بل ربما كفّرهم وعاداهم.

كما غلا أقوام في البراءة من الكافرين فجعلوا (البراء) أصلاً لما يرونه من العداوة المطلقة، وحرموا التعامل مع غير المسلمين بإطلاق، وجعلوا البراءة مقتضية لاستحلال الدماء والأموال والممتلكات.

وفي حين غلا فيه هؤلاء تميع آخرون فأرادوا إذابة (الولاء والبراء) لتسويغ ما يرونه من الدعوة لما أسموه (تقارب الأديان) أو(السلام العالمي) أو (الإنسانية) أو (فهم الآخر) إلى غير ذلك من الدعوات.

وإن هذا الخلط في مفهوم الولاء والبراء يحتاج ابتداءاً لمعالجة ببيان المفهوم الحق للولاء والبراء:

أولاً: معنى الولاء في اللغة:

قال ابن فارس: (الواو واللام والياء: أصل، صحيح يدل على قرب، من ذلك: الوليُ: القرب، يقال: تباعد بعد وَلْي أي: قرب) [1] والموالاة: المحبة ، يقال: (والى فلانٌ فلاناً إذا أحبه)[2]

والولاء النصرة ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْـــــــــــــــــــــــــــــــــرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ [سورة الممتحنة: آية 9] قال الفراء (أي تنصروهم ، يعني أهل مكة)[3]

ثانياً: معنى البراء في اللغة:

لقد بيَّن ابن فارس أن الباء، والراء، الهمزة: أصلان ترجع إليهما فروع الباب: أحدهما: الخلق يقال: بَر الله الخلق يبروهم برءاً.

---

[1] (1) معجم مقاييس اللغة ، مادة (ولي)
[2] (2) ابن الأعرابي: ينظر ابن منظور: اللسان، مادة (ولي)
[3] (3) نقلاً عن ابن منظور: اللسان ، مادة ولي.

والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته، ومن ذلك البرء وهو السلامة من السقم، يقال: بَرئت وبـرأت قـال: (ومن ذلك قـولهم: بـرئت إليك من حقـك، وأهل الحجـاز يقولون: أنا براءٌ منك، وغيرهم يقول: أنا بريء منك)[1]

ويقـــول بعض علمـــاء العربيـــة: (بـــريء إذا تخلص، وبَريء، إذا تنزه وتباعد، وبريء إذا أعذر وأنذر.)[2]

معنى الولاء والبراء اصطلاحاً:

الولاء: الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام[3]

والمراد به حب الله تعالى وحب رسوله، ما يبنى على ذلك من حب أوليائه ونصر دينه .

والـــبراء: (البعد والخلاص والعـــداوة بعد الإنـــذار[4] وينبني على ذلك بغض المعبودات من دون الله عز وجل.

والولاء والـبراء أمر قلـبي في أصـله، لكن يظهر على اللسان والجوارح، يقول شيخ الإسـلام ابن تيمية ــ رحمه الله ـــ: (الولاية ضد العـــداوة، وأصل الولايـــة: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد)[5]

فـــالولاء لا يكـــون إلا لله تعـــالى ورســـوله ـــ ﷺ ـ وللمسلمين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [سورة المائدة:آية 55]

فالولاء للمؤمنين يكـون بمحبتهم لإيمـانهم، ونصـرتهم والدعاء لهم، والنصح إلى غير ذلك من مقتضيات الولاء.

والبراءة من الكفار تكـون ببغض الـدين الباطل الـذي يدينون به وجهادهم الجهاد الشرعي بضوابطه.

---

1 (1) معجم مقاييس اللغة ، مادة : برأ

2 (2) ابن الأعرابي ، ينظر ابن منظور: اللسان : مادة برأ.

3 (3) ينظر ابن أبي العز: شرح الطحاوية (403) وسليمان بن عبد الله: تيسير العزيز الحميد (422) ود : محمد القحطاني : الولاء والبراء (90)

4 (4) ينظر: د. محمد القحطاني : الولاء والبراء (90)

5 (1) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (7)



المبحث الثاني:
أصل الولاء والبراء

إن العـودة بـالأمر إلى جـذوره يظهـران أن **(الـولاء والبراء)** ليس خاصاً بالمسلمين، فما زال أهل كل دين سـماوي أو مـذهب أرضي يـوالي بعضـهم بعضـاً وتلك حقيقة قررها القرآن ﴿وَالَّذينَ كفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْضٍ﴾ [الأنفـال: 73]، وكل أمر جـامع من الـدين أو الفكر تجد أهليه يتوالـون على مقتضـاه، وتخصـيص هـذا الأصل بالمسـلمين قـولٌ تأبـاه حقـائق التـاريخ فما زال اليهـود يـوالي بعضـهم بعضـاً، وما زال النصـارى يـوالي بعضـهم بعضاً.

إن الصراع بين الحق والباطـل، بل الصـراع بين الأمم والحضـارات حقيقة قائمة لا يمكن تجاهلهـا، وسـتبقى ما بقي أمد الحياة وإذا كان الصـراع قائمـاً، فـإن ذلك تنبـني عليه مواقف نفسية وعلمية وعملية.

ولا يمكن لامرئ أن يـوالي مخالفة بـإطلاق، خاصة إذا كان محقاً ويقابله المبطلون بالعدوان أو المنع من إيصال الحق للنـاس، بل إن مواقف المبطلين متضـمنة لمواقف من الولاء والبراء.

وليس هـذا خاصـاً بالأديـان المنزلة ، بل إنه يقع بين كل فكرتين متقابلتين أو مذهبين متصارعين، وليس أدلّ على ذلك من النظر التـأريخي للأزمـان الـتي اشـتدت فيها الصـراعات الفكرية والعقائديـة، أو النظر المكـاني إلى منـاطق التمـاس بين الأمم والحضـارات، والمـذاهب والأديان.

إن النظر في عقيدة **(الولاء والـبراء)** للمسـلمين دون التفات إلى غـيرهم نـوع من الظلم ، فـالآخرون في

مواقفهم من الإسلام والمسلمين أظهروا اجتماعاً على العداوة وموالاة عليها كما بان منهم الظلم القاهر، وأولئك الذين ينادون بالحرب على عقيدة الولاء والبراء في الأمة، يحاربونها بعقيدة ولاء وبراء خاصة بهم، قائمة على مقتضيات ظالمة.

فكل الخلق لا يمكنهم الانفكاك عن الولاء والبراء والحب والبغض، فتلك أمور فطرية ، والإسلام لم يأت بجديد، وإنما عالج الأمر من جهة موضوعية فالبشر على مر تأريخهم يحبون ويبغضون، ويوالون ويعادون على مقتضيات مختلفة ومتعددة بحسب تعدد مذاهبهم واعتقاداتهم فجاء الإسلام موحداً للمعيار الذي يكون عليه الولاء والبراء والحب والبغض.

فأفعال البشر منطلقة من الحب والإرادة كما أن تروكهم منطلقة من ضدها.

يقول ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: (أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، كما أن البغض والكراهة أصل كل ترك)[1]

بل إن أولئك الناقمين على أصل الولاء والبراء إنما نقموا على هذا الأصل صادرين عن حب لدينهم ومعتقداتهم وموالاةٍ على مقتضى ذلك، يقول ابن تيمية ــ رحمه الله ــ أيضاً ــ: (إذا كانت المحبة والإرادة أصل عمل وحركة علم أن المحبة والإرادة أصل كل دين سواء كان ديناً صالحاً أو فاسداً)[2]

إن البشرية التي تعددت في أديانها وأهوائها تفرقت وتعادت فصارت تقوم وتقعد وتعطي وتمنع وتحب وتبغض لأجل الأهواء والأغراض والعصبيات فجاء الإسلام ليجمع

---

[1](1) جامع الرسائل (2/193)
[2](2) المصدر نفسه



شتاتها على كلمة سواء﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: آية 64]

وهذا يَمْهَدُ لأن يكون الحب والبغض على مقتضى واحد متعلق بالله عز وجل ففي الحديث " من أحب في الله ، وأبغض في الله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان "[1]

إن هذا الولاء إنما يحقق توحيد البشر على توحيد الله ـ عز وجل ـ لتبتعد الأمة عن العصبيات أياً كانت، وليكون رباطها على الحق، فالولاء إنما هو على الحق ولذلك جاء الربط بينه وبين الإيمان.

يقول الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:آية71]

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾ [سورة الأنفال: آية72]

إن قضية الولاء والبراء عائدة في أصلها إلى الأيمان بالله تعالى وشهادة أن لا إله إلا الله، فمن اعتقد التوحيد فإنَّ من حقيقة اعتقاده براءته من الشرك، وبالتبع براءته من المشركين، يقول الله عز وجل: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ

[1] (1) رواه أبو داود

مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ [سورة آل عمران: آية28]

وقال سبحانه: قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ [آل عمران: 31 – 32].

وقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [سورة المائدة: آية51]

وفي الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - - قال: " أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله "[1]

وفي الحديث الآخر:(أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) [2]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: (إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله ولا يوالي إلا الله ولا يعادي إلا الله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله)[3]

بل لقد جاءت النصوص مبينة أن الولاء والبراء من الإيمان بل هو شرط له يقول الله عز وجل تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا

---

1 (1) رواه الطبراني في الكبير (11/215) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (2539)
2 (2) رواه أحمد (4/864) وابن أبي شيبة: الإيمان : (45)
3 (3) الاحتجاج بالقدر: (62)



يُؤْمِنُـونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنـزِلَ إِلَيْـهِ مَا اتَّخَـذُوهُمْ أَوْلِيَـاء وَلَـكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ [سورة المائدة: 81، 82]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ (فـذكر جملة شــرطية تقتضي أنه إذا وجد الشــرط وجد المشــروط بحرف (لو) تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقـال: (ولو كـــانوا يؤمنـــون بالله والنـــبي وما أنـــزل إليه ما اتخذوهم أولياء) فدل ذلك على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الأيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولـيـاء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه.)[1]

---

[1] (1) الأيمان (14)



المبحث الثالث:
الأبعاد الكبرى لمبدأ الولاء والبراء

إن أصل الولاء والبراء وإن كان أصلاً عقدياً إلا أن له أبعاداً سياسية واجتماعية وحضارية، لأنه يحقق هوية الأمة، فالدين هو الجامع للأمة على الأمر السواء، وكل مجتمع بشري فإنه بحاجة إلى رباط يجتمع عليه الناس، سواء كان ذلك الرباط دينياً أو قومياً أو عرقياً واقتصادياً وهكذا.....

ولا يزال البشر على مر تأريخهم يجتمعون على مقتضيات مختلفة يرونها معياراً للتعامل ، ولكن مهما تعددت الروابط فإنها لا تحقق الوحدة، والعدل ولا يمكن لمن كان خارجها أن يكتسبها دون مانع أما رباط الدين الحق، فهو الهوية الحقيقية التي تجمع الأمة يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورةالحجرات: آية10] وعلى هذا الأصل رتبت الحقوق من وجوب المحبة والتأييد والنصرة كما قال - ﷺ -: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه)[1]

وقال أيضاً ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[2]

وقال -ﷺ-: " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم "[3]

---

1 (1) رواه مسلم برقم (2564)
2 (2) رواه البخاري برقم (467) ومسلم برقم (2585)
3 (3) رواه البيهقي في الكبرى برقم (15688) وأبو داود برقم 4530



كما أن للأمر صلة بسيادة الأمة، ومما يدل على ذلك: أن وجــود الأمم وبقاءها رهينٌ بتميزها عن غيرها وظهــور خصائصــها، والتفــاف أبنائها حــول راية تجمع النفــوس، وتأتلف عليها القلوب. فالولاء القـائم بين المسـلمين إنما هو بسـبب وحـدة دينهم وطـريقتهم المتمـيزة في التلقي والاستدلال، ومنهجهم الخاص في العقيـدة والعبـادة، وأي هدم لهـذا الأصل لا بد أن ينعكس على وحـدة المسـلمين وهويتهم المتميزة.

إن الإســلام إذ أمر بــالولاء والــبراء فإنما يهــدف إلى حماية الحــق، لا العــدوان على الخلــق، فترابط الأمة في داخلها من طريق (الولاء) يحقق لها القــوة ويبعــدها عن الروابط القومية والعصبية المفرقة للنــاس ، (وبراءتها) من الباطل تحقق لها الحصــانة الــتي تحميها مما يفسد دينها ومعتقدها ويخترق أمنها، ولهـذا فـإن للـولاء والـبراء علاقة بقوة الأمة وضعفها، فكلما كـانت الأمة أقـوى كـان شعورها بهويتها أعظم.

المبحث الرابع:
الولاء والبراء في الإسلام وارتباطه بقيم الإسلام ونظمه

إن الــولاء والــبراء في الإســلام مرتبط بنظم وقيم وشــرائع تحــدد منــاهج التعامل مع الآخــرين فــالأمر ليس عداء أهوجاً، ولا بغضاً مجرداً بل الــولاء والــبراء جــزء من منظومة متكاملة من الأحكام، ولا يصــلح أن يقــرأ قــراءة فيها اجــتزاء، وكثــيراً ما تكــون تلك القــراءة ســبباً لســوء الفهم فيميل النـــــاس إلى الأهـــــواء الناتجة عن الغلو أو التفريط أو العـــداء، أما حقيقة الأمر فـــإن قيم الإســـلام الكبرى تعود إلى أصول عظيمة حاكمة للتعامل مع الناس من أظهرهــا:العــدل، والله عز وجل يقــول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَـوَّامِينَ لِلّـهِ شُـهَدَاء بِالْقِسْـطِ وَلاَ يَجْـرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَـوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْـدِلُواْ اعْـدِلُواْ هُـوَ أَقْـرَبُ لِلتَّقْـوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُـونَ ﴾ [ســورة المائــدة: آية8]

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ــ أي: (يا أيها الذين آمنوا) بما أمروا بالإيمان بــه، قومــوا بلازم أيمــانكم، بــأن تكونــوا (قــوامين لله شــهداء بالقسط) تنشط للقيــام بالقسط حركــاتكم الظــاهرة والباطنــة،وأن يكــون ذلك القيــام لله وحــده، لا لغــرض من الأغــراض الدنيوية، وأن تكونوا قاصدين للقسط، الذي هو العــدل لا الإفــراط ولا التفريط في أقــوالكم ولا أفعــالكم، وقومــوا بــذلك على القــريب والبعيــد، والصــديق والعــدو،(ولا يجرمنكم) أي: يحملنكم بغض (قومٍ على ألاّ تعــدلوا) كما يفعله من لا عدل عنــده ولا قســط، بل كما تشــهدون لــوليكم فاشــهدوا عليه ، وكما تشــهدون على عــدوكم فاشهدوا له ولو كان كــافراً أو مبتــدعاً؛ فإنه يجب العــدل

فيه، وقبول ما يأتي به من الحـق؛ لأنه حـق، لا لأنه قالـه، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلمٌ للحق)[1]

ومن ذلك: أن الله عز وجل أمر بالبر والإحسان ونهى عن الاعتداء والظلم، يقول الله عز وجل: لا يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ فِي الـدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُـوكُم مِّن دِيَـارِكُمْ أَن تَبَـرُّوهُمْ وَتُقْسِـطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [سورة الممتحنة: آية80]

يقـول الشـيخ ابن سـعدي ــ رحمه الله ــ: (أي: لا ينهـاكم الله عن الـبر والصـلة، والمكافـأة بـالمعروف والقسط للمشـركين من أقـاربكم وغـيرهم حيث كـانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جنـاح أن تصـلوهم، فـإن صـلتهم في هـذه الحالة لا محذور فيها ولا مفسدة)[2]

ولذلك أمر الله بمصاحبة الوالدين الكافرين في الدنيا بالمعروف فقال سـبحانه: وَإِن جَاهَـدَاكَ عَلى أَن تُشْـرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِـهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَـاحِبْهُمَا فِي الـدُّنْيَا مَعْرُوفًا [سورة لقمان: آية 15]

ففي الحـديث عن أسـماء بنت أبي بكر ــ رضي الله عنهما ـ قالت قدمت أمي وهي مشـركة في عهد قـريش إذ عاهـدوا فـأتيت النـبي ــ ـ فقلت: يا رسـول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قـال: " نعم صـلي أمك "[3]

والتعامل مع الكفـار جـائز مع وجـوب العـدل والأمانة في التعامل معهم، يقول النبي ـ ـ : " أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك "[4]

---

[1] (1) تيسير الكريم الرحمن (224)
[2] (2) تيسير الكريم الرحمن (857)
[3] (3) رواه البخاري برقم (5219) ، ومسلم برقم (2130)
[4] (1) رواه أبو داود برقم (3529) والحاكم وصححه (2/46)



وحذر النبي ـ ﷺ ـ من الظلم مبيناً خطورة دعوة المظلوم ولو كان كافراً ففي الحديث أن النبي ـ ﷺ ـ قال: " اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب)[1]

بل إن الشريعة جاءت بإقرار المحبة الفطرية لغير المسلمين ، يقول الله تعالى في بيان حال النبي ـ ﷺ ـ مع عمه أبي طالب الذي كان مشركاً ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة القصص: آية 56]

فأقر النبي ـ ﷺ ـ على ما كان منه من محبة لعمه، وهي محبة للقرابة لا للدين والشرع ، وقد أجاز نكاح الكتابيات فقال الله - عز وجل -﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) [سورة المائدة:آية 5]

ومعلوم أن النكاح مقترن بالمودة بين الزوجين يقول الله ـ عز وجل ـ: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة الروم: آية21]

إن الولاء والبراء لم يكن مانعاً من التعامل مع غير المسلمين، أو صاداً عن التعاون معهم لما فيه خير البشرية، أو مانعاً من دعوتهم إلى الخير ومجادلتهم بالتي هي أحسن يقول الله ـ عز وجل ـ:(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ

[1] (2) رواه أحمد في المسند (رقم (2549)



أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [سورة النحل: آية 125]

فهي ليست دعوة فحسب ، ولكن إحسان في الدعوة ، ولين في البلاغ، ومجادلة بالتي هي أحسن، وهذا شأن كل الرسالات، فالله عندما بعث موسى وهارون قال (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [سورة طة: آية 44]

فالقول قولٌ لين وإن كان لأقسى وأطغى الخلق في زمانه، وأما القتال فإنه مبني على السماحة في المبتدأ والمنتهى فالهدف منه ابتداء إنما هو إيصال الخير للعالمين، فعندما يقف الجبارون في سبيل وصول الحق فإنهم يقاتلون، وإلا فعامة الخلق لو تركوا وشأنهم لقبلوا الدين، لأنه دين الفطرة.

ثم تأتي السماحة في القتال ممثلة في تحريم التمثيل والتشويه والتقتيل وقتل الشيوخ والأطفال والنساء والرهبان وغيرهم ليتبين جانب عظيم من سماحة هذا الدين وعدله.

فأما بعد القتال فالأسرى وإن كانوا غير مسلمين فإن الإسلام أمر بإكرامهم فعن الحسين أن النبي ـ ﷺ ـ كان يقول لأصحابه: " أكرموا الأسرى " بل في القرآن العظيم يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: آية 7]

فعقيدة الولاء والبراء لها ارتباطها في الدين بالجوانب السلوكية والاجتماعية للمسلمين وهي جزء من تكامل هذا الدين وترابط أحكامه.

يقول الله ـ عز وجل ـ ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء: آية 82]

فحق على من تكلم في هذه القضايا ألا يقطع النظر عن منهج الإسلام في التعامل مع الآخرين فهذا هو الذي ينتظم الأحكام المتعلقة بالكفار فليس الأمر ولاء وبراء فقط، بل ضوابط وأصول كثيرة.



المبحث الخامس
البراءة من الكفار فرع البراءة من الكفر

إن الإسـلام هو الـدين الحـق، في واقع الأمـر، وهو الدين الحق في نظر المسلمين وإذا كـان الإسـلام كـذلك فـإن ما سـواه من الأديـان باطـل، ولـذلك فـإن الله أمر رسوله- ﷺ - أن يظهر مفارقته لأديان الكفار ومعبوداتهم ، يقول الله - عز وجل-:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [سورة الكافرون]

فالمفارقة من الطرفين ، ولئن كان الإسلام هو الدين الحق فلا يسوغ لمسلم أن يشارك الكفـار معبـوداتهم بل يبقى مقيمـاً على الـدين الحـق، عابـداً لله ــ عز وجل ــ وحده، ثابتـاً على الـدين، لا تزعزعه الصـوارف، ولا يميله أهل الباطـل، فقناعته بما هو عليه من الـدين تحميه من فتن المبطلين وبعد توفيق الله ، فـإن واقع الحـال شـاهد أن الكفار الذين لا يريدون عبادة الله وحدة لا يزالون في دأب على صـرف أهل الـدين الحق عنـه: ﴿وَإِن كَـادُواْ لَيَفْتِنُونَـكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْـكَ لِتفْتَـرِيَ عَلَيْنَا غَيْـرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً وَلَـوْلاَ أَن ثَبَّتْنَـاكَ لَقَـدْ كِـدتَّ تَـرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَـاةِ وَضِـعْفَ الْمَمَـاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: 73 – 75]

وإذا كان هذا الاعتقاد بالـدين الحق ظـاهراً، فـإن مما يتبعه الـبراءة مما يقابله من الأديـان الباطلة لأن قيـام الـدين على نفي وإثبـات (أشـهد أن لا إله إلا الله) فهو خلع كل المعبودات غير الله ـ عز وجل ـ مع إثبات العبادة له وحـده ، يقـول الله تعـالى: ﴿وَلَقَـدْ بَعَثْنَا فِي كُـلِّ أُمَّةٍ

رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ [سورة النحل: آية 36]

ولقد بعث الله محمداً ـ ـ بالهدى ودين الحق ، فجعله على طريق واضح وسبيل بين ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا [سورة الجاثية: آية 17]

وإتباع هذه الشريعة مقتضٍ لمخالفة كل ما يضادها ولذلك يدعو أهل الإسلام ربهم عز وجل بما أمر به الله ـ عز وجل ـ في كل ركعة فيقولون: اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ [سورة الفاتحة: 6، 7]

وقد أبان الله أمر سبيل الحق وأمر سبل الباطل وجعل قيام الدين على لزوم الحق ومخالفة سبل الضالين والمغضوب عليهم ، وهذا اللزوم وتلك المخالفة بينهما من التلازم ما لا يخفى، أنه لا لزوم للحق إلا بمخالفة الباطل، يقول الله ـ عز وجل ـ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [سورة الجاثية: آية 18]

ويقول: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ [سورة الأنعام: آية 153]

ويقول: اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ [سورة الأعراف: آية 3]

فأصل البراءة إذاً: البراءة من الدين الباطل؛ لأنه يتمخض الإيمان بالدين الحق إلا بالكفر بما عداه، ويتبع ذلك محبة الحق وبغض الباطل، والعروة الوثقى في الدين قيامها على هذين الأصلين فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ [سورة البقرة: آية 265]



فالبراءة من الكفار أصلها البراءة من الكفر كما قال إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء: آية 75 – 77]

وفي الآية الأخرى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [سورة الممتحنة: آية 4]

والإسلام والكفر يقومان بمن دان بالدين ،فالكافر يدين بدينه، كما أن المسلم يدين بدينه وبالتالي فإن الاعتقاد بأن الإسلام هو الدين الحق يقتضي الولاء لحملة هذا الدين بدءاً من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وانتهاء بكل مسلم دان بالدين الحق، كما يقتضي الأمر البراءة من حملة الأديان الباطلة، وأعداء الرسل ومحرفي الدين الحق، وإذا تقابل محقٌ ومبطلٌ فإن من بدائه العقول أن يحب المحق ويكره المبطل ، وكل ذلك لأجل الحق أو لأجل الباطل لا لأجل الذوات فكره المبطل لأنه مبطلٌ لا عنصريه أو عصبية، فالخلق كلهم سواء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [سورة الحجرات: آية 13]

فهذه جملة تختصر قيم التفاضل بين الخلق، والإسلام إذ يقر بوجود الشعوب والقبائل لا يفاضل على أساسها وإنما يفاضل على أساس الإيمان والتقوى، فمن فارق الإيمان بالكلية فقد فارق الفضيلة، فلا تجوز موالاته ومحبته.



ومن كـان فيه إيمـان كـانت موالاته بحسب ما فيـه، فالمؤمن تجب موالاته فإن اجتمع فيه شر وخـير، وطاعة ومعصية، وحسنة وبدعة، استحق من الثواب بقدر ما فيه من الخـير، واسـتحق من المعـاداة بحسب ما فيه من الشر.

وإن كان الأمر بهـذه المثابة فـإن التقابل بين المحق والمبطل بين المسـلم والكـافر يقتضي تحـريم مـوالاة الكـافرين من دون المؤمـنين يقـول الله -عز وجل - ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاء مِن دُوْنِ الْمُـؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِـكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّـهِ فِي شَـيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُـواْ مِنْهُمْ تُقَـاةً وَيُحَـذِّرُكُمُ اللّـهُ نَفْسَـهُ وَإِلَى اللّـهِ الْمَصِـيرُ ﴾ [سورة آل عمران: آية 28]

ويقول الله ـ عز وجل ـ:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِـذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْض وَمَن يَتَـوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّـهَ لاَ يَهْـدِي الْقَـوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: 51]

فإذا كان المسلم خائنـاً لدينه مقـدماً مصـالحه الذاتية على مصالح أمته ، أو معتقداً للدين الباطل فذلك جريمة في حق أمتـه، وذلك أمر موجـود في ملل وأديـان ؛ بل وفي دول وأوطان، فلو أن إنسان في دولة ما والى دولة عـدوه، وأعـان على دولته لكـان ذلك خيانـة: بل هو في العرف السياسي والقانوني يعد خيانة عظمى.

كما تقتضي البراءة: عدم تقريب الكـافر بحيث يصـير خاصة وبطانة من دون المؤمنين يقـول اله عز وجـل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـواْ لاَ تَتَّخِـذُواْ بِطَانَـةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَـأْلُونَكُمْ خَبَـالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَـدْ بَـدَتِ الْبَغْضَـاء مِنْ أَفْـوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَـاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُـونَ ﴾[سورة آل عمران: آية 118]

وتقـــريب غـــير المســـلم ليكـــون مطلعـــاً على أمر المسلمين وأحوالهم خاصة أمرهم يمكن أن يكون ســبيلاً لإضرار المسلمين.

والمتأمل في النصوص المتعلقة بالولاء والبراء يجـدها في جملتها تنهي عن اتخـاذ الكـافرين أوليـاء لا أنها تـأمر بمعـــاداتهم في كل حـــال؛ بل نهيها عن المـــوالاة مطلق ونهيها عن الظلم مطلق بينما جـاءت العقوبـات والقتـال ونحو ذلك منضبطة في أسبابها وإجراءاتها.



المحتويات